

الفصل السابع

الحياة الوجدانية

الألم واللذة^(١)

كل ظاهرة نفسية تتحلل إلى ثلاثة وجوه : الإدراك والوجدان والذروع .
وقد درسنا من الظواهر النفسية طائفة من النزعات الإنسانية ، بعضها فطري وبعضها مكتسب ، هذه النزعات هي أساس السلوك عند الإنسان . ويصحب الميل إلى العمل حالة وجدانية ، إما أن تكون عامة هي الألم واللذة ، وإما أن تكون خاصة هي الانفعالات المختلفة ، مثل الفرح والحزن والغضب والخوف والحجل والدهشة .
هذه الانفعالات تتعمد وتتركب قسمي عواطف . وسندرس هذه الحالات الوجدانية على الترتيب ، مبتدئين بالألم واللذة ، ثم بالانفعالات والعواطف .
والألم واللذة اصطلاحان أوليان لا يمكن تعريفهما بغيرهما ، أو تحليلهما إلى عناصر أكثر بساطة ، لأنهما حالتان شخصيتان نشعر بهما كما هما .

وهناك لذة وألم ماديان ، ولذة وألم نفسيان . فالنوع الأول يرجع إلى إحساسات جسمية ، ويكون مصدر اللذة أو الألم محدوداً معروفاً ، كالألم من جرح أو حرق ، واللذة من مذاق طعام . وقد يشيع الألم أو اللذة بحيث لا يعرف مصدرهما فتوصف الحالة الوجدانية بالارتياح أو عدم الارتياح . أما النوع الثاني فهو الألم واللذة النفسيان ، كالارتياح الذي يصيب الإنسان عقب النجاح في

مشروع أو الحصول على مرغوب ، أو كالألم الذى يقترن بفقد عزيز أو تأنيب الضمير . وهنا يقترب الألم واللذة من الانفعال بحيث يصعب التمييز بدقة بين الفريقين . وتمتاز اللذة والألم بالتقلب المستمر ، بينما الناحية الإدراكية من الأشياء تكون ثابتة إلى حد كبير . فإذا كنا المتفاحة فى شكلها وحجمها ورائحتها ومظهرها الخارجى هو هو لا يتغير ، ولكنك قد تترتاح إلى تذوقها مرة ولا تترتاح مرة أخرى . ويتأثر الألم واللذة تأثيراً نسبياً بالحالات الجسمية والعقلية التى يتوقعان عليها . فالمتصوف الدينى يجد فى الألم لذة ، والجندى لا يشعر بجراحه فى ساحة الحرب كما يشعر بها وهو منقول إلى المستشفى . فالموازنة بين اللذة والألم تلعب دوراً هاماً فى الحياة الوجدانية ، وكثير من اللذات والآلام لا توجد إلا بالنسبة لحالات سابقة عليها ، فلذة النجاح تتناسب مع صعوبة الأمل المطلوب .

وتضعف اللذة عندما تذهب جدة الأمر الذى يبعثها ، إذ يحدث إشباع لحاجة النفس ، كما لو كان الإنسان جائعاً وأكل . فالأشياء التى تتكرر أمام الإنسان تنتهى به إلى أن يتعودها ، فيقف منها موقفاً فيه كثير من عدم الاهتمام . أما الألم فقد يزداد باستمراره .

الانفعالات^(١)

الانفعال هو حالة نفسية وجدانية يصحبها اضطراب نفسانى وجسمانى . فإذا كنت جالساً تقرأ فى جريدة ، ثم وقع بصرك على نعى وفاة صديق لك ، فإنك تنفعل انفعال الحزن . وإذا دخلت منزلك كالعادة فوجدت أحماً يهجم عليك ، مهدداً إياك بسكين حادة تلعب فى يده ، فإنك تنفعل انفعال الخوف . وإذا كنت

متدثراً برداء جديد تختال به ، ثم تنزلق قدمك فيتسخ رداؤك ويتمزق ، فإنك تنفعل انفعال الغضب أو الحجل ... فما هو السبب في هذه الانفعالات .

تجربى حياة الشخص فى سلسلة من الميول والعادات ، يتطبع بها ويوطن النفس عليها . فإذا حدث ما يخالف نظام التفكير العادى ، فانه يصطدم بشىء جديد غير منتظر مخالف للعادة ، فتحدث « صدمة نفسية »^(١) هى التى تسبب اضطراب العقل والجسم .

ويأتى الانفعال فجأة دون تمهيد ، كالسيارة التى تجرى على الأرض الممهدة السهلة ، ثم تصطدم فجأة بجدار أو شجرة أو أى شىء آخر ، فتضطرب وتهتز . فتفكيرك العادى الذى يجرى مجراه الطبيعى ، هو أن صديقك حى يرزق ، ثم تقرأ الجريدة تطلع فيها على الأخبار ، فإذا بك تفاجأ بنبأ وفاته على غير انتظار ، فتحصل هذه الصدمة النفسية التى نسميها الانفعال . وكلما كانت العادات التى يعارضها الأمر الجديد متمكنة من صاحبها ، قديمة التكوين ، كان الانفعال أقوى وأشد .

ولابد من وجود مؤثر خارجى يؤدى إلى الانفعال ، الذى يتوقف على إدراك الشخص للمؤثر . فإذا أدرك أحد الناس « نكتة » فى حديث ضحك ، وإذا لم يدركها لم يضحك . فالمؤثر فى الأمثلة السابقة هو : نبأ الموت أو هو اللص الذى يهجم عليك ، أو هو الانزلاق والوقوع . ولا ينبغى أن يكون المؤثر شيئاً مادياً ، فقد يكون ماتتذكرة أو ما تتخيله ؛ فالأم حين تتذكر موت ابنها تنفعل انفعال الحزن وتبكي ، وإذا تخيل شخص أنه راكب طائرة ووقعت به فإنه يخاف .

أثر الانفعال في العقل :

إذا حللنا الحالة العقلية وقت الإنفعال نجد أن الانتباه بعد أن يكون هادئاً عادياً بحيث يدرك الإنسان أغلب ما يمر به من حوادث ، يتركز في مصدر الانفعال فقط وينصرف عن كل ما عدا ذلك . ويتوقف تركيز الانتباه على حدة الانفعال ، لذلك لا يدرك الشخص الأشياء التي تحيط به ، كأنها غير موجودة . كذلك تنقطع سلسلة تداعي المعاني ، وتتجه الخواطر في طريق جديد أساسه مصدر الانفعال . فالتاجر الذي تتسلسل الأفكار في ذهنه ويدور محورها على هذا النسق : البضاعة ، وأنواعها ، وثمنها ، والعملاء ، والديون التي له والتي عليه ... ألخ ، إذا سرق لص حافظة نقوده انقطعت سلسلة تفكيره الأولى وبدأ يفكر في اللص ، وكيف يمسك به وكيف يعاقبه ، وكيف وقعت السرقة ، وماذا يعمل إذا لم يعثر على الحافظة ... ألخ وقد يزداد النشاط العقلي وقت الانفعال ، فتزداد حدة الخيال ، ويهبط على الإنسان نوع من الإلهام ينتدع به الأمور الجديدة ، بعد أن يكون العقل جدياً . والانفعال يبعث على اختراع الأفكار الجديدة ، فالغيرة بين الطلبة في المدرسة دافع إلى إحرازهم السبق في العلوم .

وقد يؤدي الانفعال إلى شل حركة الفكر والعمل ، بحيث يضطرب التفكير ، ويرتبك الشخص حتى يعسر عليه فهم الموقف المحيط به ، ولا يدري ماذا يقول أو يفعل ، وقد يصل به الأمر إلى حد البلاهة .

ومهما يكن من شيء فإن الإنسان في ساعة الانفعال يفقد قوة ضبط النفس ، فتصدر الأعمال لا عن روية وتفكير وعزيمة ، بل عن نزوة واندفاع ، لأن الإنسان لا يكون له سلطان على نفسه . وإذا كان حقاً أن التفكير قد يعمق ، والخيال قد ينشط ، فهو تفكير يطنى على صاحبه ، فلا يستطيع أن يوجهه كما يريد . وهذا

الاضطراب العقلى مدعاة إلى فقدان قوة الحكم والنقد ، فيصبح الإنسان عرضة للاستهواء وسهولة التصديق .

وكثيراً ما يكشف الانفعال قناع العادات المكتسبة والآداب المتبعة ، فتبرز سريرة الشخص خالصة من غشاء التقاليد ورداء العادات ، حتى ليرجع الإنسان إلى الحالة الحيوانية أو يتصرف تصرف الطفل .

أثر الانفعال فى الجسم :

يصحب الانفعال تغيير فى مظاهر الجسم الباطنة والظاهرة .
والأثر الباطنى للانفعال يتناول جميع أجهزة الجسم ، كالجهاز الدموى والتنفسى والهضمى ، والغدد . وسنقصر بحثنا على دراسة الخوف .

ففى حالة الخوف تزداد ضربات القلب أو تضعف ، والغالب فى ذلك هو ازدياد ضربات القلب ، ويصحب ذلك انقباض الأوعية الدموية فينجس الدم عن سطح الجلد .

أما التنفس فيضطرب فى نظامه وعمقه ، ويبدل الإنسان جهداً فى الشيق والزفير ؛ وقد أجرى العلماء تجارب عدة على الإنسان فى الحالات المختلفة من الانفعال ، وسجلوا رسوماً بيانية تبين الصفة التى يكون عليها التنفس .

ويحصل فى الجهاز الهضمى توقف حركة المرىء والمعدة والأمعاء الموجية ، كذلك يتوقف إفراز المعاب ، ولذا يشعر الإنسان بجفاف فى الفم ، وتتوقف إفرازات المعدة ، ويفقد الإنسان الشهية ، وتشل العضلات القابضة ، فينتج عن ذلك تساقط البول ، وهذا أثر لشل عضلة المثانة القابضة .

أما الغدد فقد يقف إفرازها ، كالغدد المعابية ، أو تنشط بعض الإفرازات

مثل الدموع ، والصفراء ، والبول ، والعرق البارد . ويفرز «الأدرينالين» بكميات قليلة في الدم ، وهو مادة تفرز من الغدد الموجودة فوق الكلئ فتبهج كثيراً من الوظائف الباطنية في الجسم ، مثل ازدياد الكريات الحمراء والبيضاء في الدم ، وقد ثبت ذلك من التجارب التي أجريت على الجرذان ، ثم يتأثر الكبد فيخرج إلى الدم كمية عظيمة من السكر الحيواني المخزون به ، وقد تزداد كمية السكر في الدم إلى حد أن ينصرف إلى البول ، وقد شوهدت هذه الحالة في بعض لاعبي كرة القدم قبيل إقدامهم على المباراة ، وفي بعض الطلاب قبل الامتحان . وقد يؤدي الخوف الشديد ، أو الرعب المستمر ، إلى الهرم المبكر ، ويصحب ذلك المشيب . ويصحب الخوف تأثير الجهاز العصبي تأثيراً يؤدي إلى انعدام السيطرة الإرادية ، فينتج عن ذلك الرعدة ، وشلل الأرجل .



وينتج عن الانفعال تغيير ظاهر في ملامح الوجه ، وفي حالة الخوف يصفر الوجه ، وتغور الوجنتان ، وينحسر الفك الأسفل ، وتتسع حدقة العين .

والخلاصة أن الانفعالات المختلفة مثل الفرح والحزن والغضب والدهشة والإعجاب والضحك والقلق إلخ ،

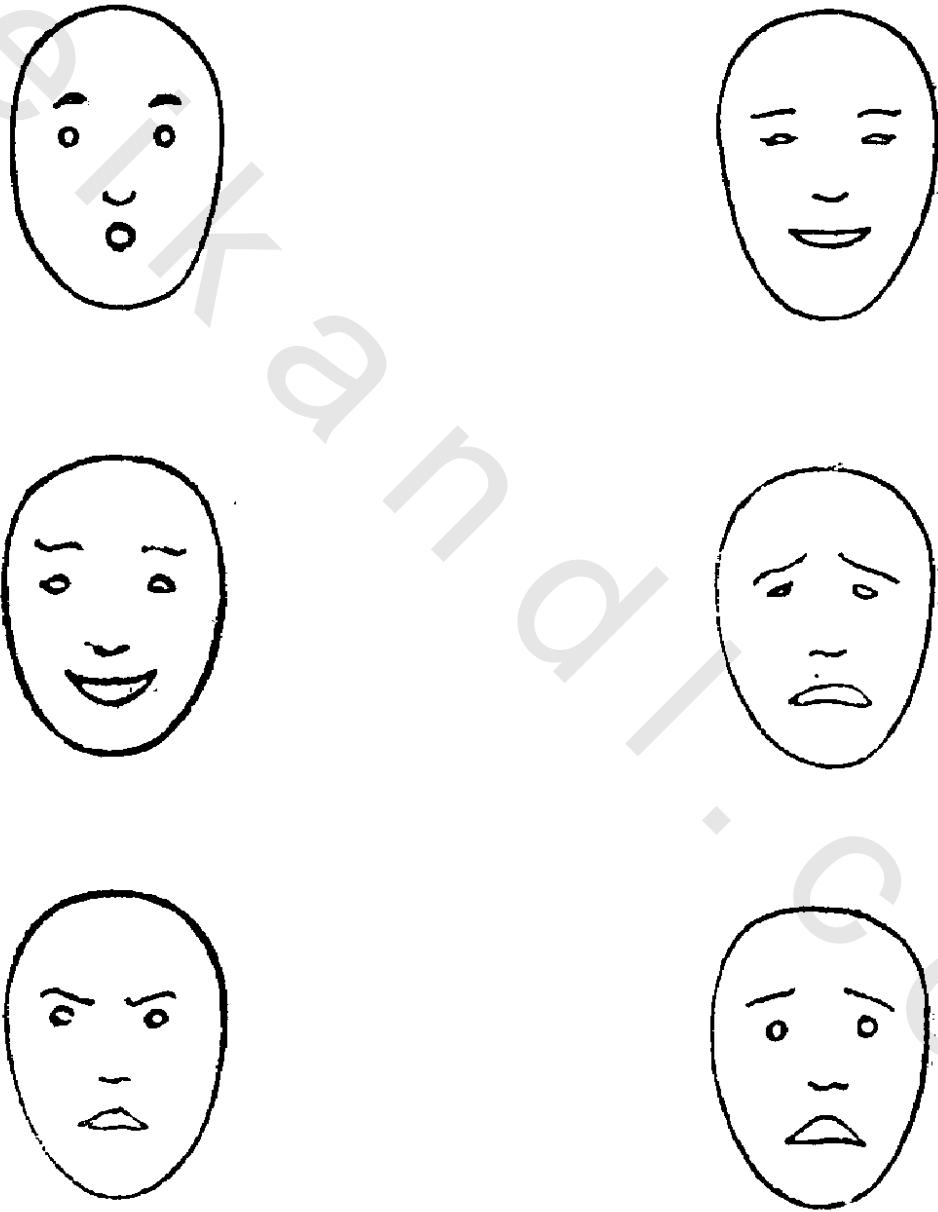
(شكل ٦) الرعب

يصحبها تغيير في جميع أجهزة الجسم الباطنة

وفي ملامح الوجه ، ويختلف هذا التغيير شدة وضعفاً باختلاف الانفعال . ومن الإطالة أن نذكر جميع هذه الانفعالات بالتفصيل ، ويستطيع القارئ أن يلاحظها بنفسه . ومن الظريف أن نذكر أن ملامح الحيوانات تتغير في أثناء الانفعال



(شكل ٧) أثر الانفعال على الحيوان



(شكل ٨)

ملاحظ الوجه عند بعض الانفعالات كما يراها العالم « فربا »

(انظر شكل ٧) . وقد أورد العالم « فرابا Frappa » رسماً كروكياً للملامح التي تصحب بعض الانفعالات كما هو واضح في (شكل ٨) .

لماذا نفعل ؟

ليس تحليل الانفعال بالأمر السهل ، وقد تضاربت النظريات في ذلك . وأول هذه النظريات تقول بأن الانفعال هو نتيجة الشعور بالموقف الخارجى الذى يبعث الانفعال . ولكن ليس مصدر الانفعال هو كل شئ ، فقد يكون الخطر واحداً فيخاف شخص ويحتفظ آخر بهدوئه ، وكلاهما يشعر بالخطر . فالتقول بأن الشعور بالمؤثر الخارجى هو السبب الوحيد الذى يؤدى إلى الانفعال لا يفسر لنا المثال السابق . كذلك هناك انفعالات كثيرة لا يتبين الإنسان مصدرها ، فالمنقبض المزاج ، الذى يظل حزينا عدة أيام متواليات ، قد تمر به حوادث مبهجة فلا يفرح لها . وكثيراً ما يثور الإنسان لأتفه الأسباب ، والحقيقة هنا أن نفسه غاضبة فيلتمس أى شئ ليرز الغضب .

والنظرية الثانية عكس النظرية الأولى ، فبدلاً من اعتبار الآثار الجسمية نتيجة الانفعال ، يقولون بأن الانفعال هو نتيجة هذه الظواهر الجسمية ، والاضطرابات العضوية . وتفسير ذلك أننا نخاف لأننا نرتعش ، ولا نرتعش لأننا نخاف ؛ ونحن نحزن لأننا نبكى ، ولا نبكى لأننا فى حزن . ولا بد بطبيعة الحال الحال من إدراك المؤثر الذى يبعث الانفعال ، ولكن لا على أنه سبب الانفعال بل باعتبار أنه واسطة فقط . ويُعترض على هذه النظرية بأنه إذا كان الأمر كذلك ، ففى استطاعتنا أن نفعل فى أى وقت نشاء بالإرادة . فيكفى أن يجمع الإنسان قبضة يده ، ويرفع صوته ، ويعض نواجذه حتى يغضب ، فهل هذا

صحيح ؟ إن الممثل على خشبة المسرح لا يفعل إلا كما ذكرنا : فهو يعتمد إبراز الملامح والحركات والإشارات التي تدل على الحالة التي يستوجبها الموقف ، وقد يندمج في تيار التمثيل فينفعل حقاً . فهل هذه الحركات هي التي أدت إلى الانفعال أم أن تصور باعث الانفعال هو الذي أدى إليه ؟ وكلا الرأيين صواب في بعض الحالات .

أثر الانفعالات في حياة الإنسان :

الحياة بدون انفعالات تتخللها بين حين وآخر لا تكون حياة بالمعنى الصحيح ، بل تكون إلى السكون أقرب منها إلى الحركة . لأن ما يميز الحياة هو التقلب والتغير ، فالكائن الحي يولد ويكبر ويهرم ، ويعتريه خلال ذلك الصحة والمرض والانتعاش والذبول ، فما يكسب الحياة العفة التي ينبغي أن تكتسبها ، هي الانفعالات ؛ فإننا لا نستطيع أن نجد للحياة طعماً ، ولا نستطيع أن نستسيغها ، ونجعلها لينة المأخذ سهلة القبول ، إلا إذا تخللها كثير من الانفعالات . مثلنا في ذلك مثل الطعام الذي نتناوله ، لا يكون نديداً مستساغاً مقبولاً ، إلا إذا وضعنا فيه الملح والتوابل والبهار ، التي تكسبه الطعم والنكهة ، واللذة والاستساغة ، وتجعلنا نقبل عليها . فالحياة بدون الانفعالات تكون جافة لا طعم لها .

وقد عرف الغربيون هذه الحقيقة ، فعملوا على ابتعاث الانفعالات في أوقات مناسبة حتى ينفخوا في حياتهم روح المرح والخفة . فتجد الزوج ينتهز فرصة عيد ميلاد زوجته ، فيبعث إليها عن طريق البريد تحفة طريفة ، كأن تكون عقداً من اللؤلؤ أو خاتماً من ماس ، فتكون مفاجأة للزوج تنفعل لها انفعال الفرح والدهشة والإعجاب ؛ أو كالوالد الذي ينجح ابنه في الامتحان ، فيفاجئه بهدية

ثمينة ، كساعة ذهبية مثلاً ، يكون لها من الوقع والأثر أكثر مما لو مهد لها بزمين طويل قبل الامتحان .

الانفعال والسلوك :

تظهر قيمة الانفعال الكبيرة في اتصالها بالسلوك الفطرى للإنسان ، ونعنى به الغرائز المختلفة . فالغريزة التى تسمى لخير الناس كافة ، لا تتحقق إلا عند ظهور الانفعال ، هذا الانفعال الذى يكون ملائماً مع طبيعة الموقف الخارجى . ففى حالة الخطر الذى يستوجب هجوم الإنسان دفاعاً عن النفس ، يظهر الغضب الذى يفيض على الجسم بنشاط جديد ، فتسرع حركة الدم ، وتتسع حدقة العين لتكون أكثر بصرًا ، وعلى الجملة يتخذ الإنسان هيئة المقاتل استعداداً للدفاع . وكثيراً ما يكون سلوك الكائن فطرياً وذلك حفظاً لحياته ، حتى قبل أن يتعقد الموقف ، فكثيراً ما يظهر الخوف على بعض الحيوانات بمجرد رؤية أعدائها ، أو سماع صيحاتها ، أو شم رائحتها . فالقرح الصغير يختبئ حين يسمع صياح الحداة لأول مرة .

أثر الانفعال الاجتماعى :

ثم إن الانفعالات وما يرسم معها من ملامح تظهر على الوجه ، لها أثر كبير فى حياة الإنسان . لأن لكل انفعال ملامح خاصة تصحبه ، فلامح الوجه عند الفرح غير عند الغضب أو الحزن أو الحزن . لذلك كنا إذا رأينا ملامح شخص ما ، كان كافيًا لاستطلاع ما يختبئ وراءها من انفعال ، فنتستطيع أن نقرأ فى صفحة وجه صديقك ، الغضب والحزن والفرح والإعجاب . . . إلى غير ذلك . كأن الانفعالات وما يصحبها من ملامح ترسم على الوجه أصبحت لغة طبيعية بين

الناس ، يتعرفون بواسطتها إلى ما يدور بخلد بعضهم البعض .
ولكن هذه اللغة الطبيعية أخرجها الإنسان عن طبيعتها بالإرادة ، تكلفاً
لحالات يريد أن يظهرها ، فهو يتسم حين يريد أن يظهر الرضا ، أو يعبس حين
الغضب . ثم تحول هذا التكلف الإرادى إلى عادة يصطبغ بها الشخص ، فهو
يوزع الابتسامات على كل من صادفه ، حتى أصبح الإنسان يضع ابتسامته على
وجهه كما يلبس الشيخ عمامته . وآداب الاجتماع كلها ، كخفض الصوت حين
الكلام ، وتعقيد الجبين إظهاراً للجزن ... إلى غير ذلك ، كلها انفعالات تحولت
إلى عادات ، وأصبحت رموزاً اجتماعية للتفاهم والتأثير بين الناس .

الانفعال والصحة :

إذا خرجت الانفعالات عن حدودها الطبيعية فأصبحت عنيفة ، وتكررت
لكثرة الطوارئ الفجائية في الحياة ، تأثرت صحة المرء إلى حد كبير ، لأن الانفعال
يؤدى إلى اضطراب جميع أجهزة الجسم الداخلية ، فيختل نظامها . وإذا كان
الانفعال عنيفاً فإن أثره قد يمتد بدل بضع دقائق ، إلى بضعة أيام . فالحقبة التى
أدخلوا عليها كلباً شرساً ، ظلت حركة معدتها متوقفة عن العمل مدة عشرين
دقيقة ، بالرغم من زوال مؤثر الخوف^(١) .

ومن الثابت فى علم الطب أن الشلل النصفى ، أو ما يسميه العامة «النقطة»
سببه انفجار شريان فيحدث نزيف فى المخ ، أو انسداد شريان وحرمان جزء
المخ الذى يغذيه من دمه . ومن الأسباب المباشرة لانفجار الشريان هو الانفعالات
النفسية الشديدة .

(١) راجع ص ٢٤ .

وكثيراً ما تؤدي الانفعالات إلى الأمراض العصبية كالهستيريا ، وهنا يضاف عامل جديد يؤثر مع الانفعال هو الإيحاء . ذلك أن الشخص يزيد في تأثير الانفعال عن طريق الإيحاء الشخصي والوهم ، فيقدر للانفعال قيمة أكثر من قيمته . فإذا استطعنا أن نزيل هذا الوهم من ذهن صاحبه بالإغراء والإقناع ، عالج الشخص وذهب عنه المرض . مثال ذلك مريض كان يعتقد أن برجليه شللاً فهو لا يتحرك فعلاً وذلك نتيجة رؤيته شخصاً مصاباً بهذا الشلل ، فأثر في نفسه هذا المنظر أثراً بليغاً ، واعتقد بالإيحاء الشخصي أنه مريض لا يستطيع المشي وشفى هذا المريض حين شرح له الأطباء وصف حالته ، وسبب مرضه الوهمي .

وكثير من الأمراض العصبية ، هي نتيجة العقد النفسية التي تخزن في اللاشعور ، وتبعث على الاضطراب العقلي ، وسندرس هذه الظاهرة في الكلام عن العواطف .

العواطف

يقولون عاطفة الحنان مثل حنان الأم نحو طفلها ، وعاطفة الصداقة أي عاطفة شخص نحو شخص آخر يتخذه صديقاً له ، وعاطفة الطفل الصغير نحو لعبته ، فما هي هذه العاطفة ؟ إذا عطفت الأم نحو طفلها ، والصديق نحو صديقه ، والطفل نحو لعبته ، فإنهم يشعرون جميعاً نحو ما يتوجهون إليه بالعاطفة ، وجدان أكثر حدة وأشد تأصلاً من وجداننا نحو أشياء أخرى من نفس النوع . فالأم لا تعطف على جميع الأطفال على السواء ، بل وجدانها لطفلها أكثر تأجباً ؛ والصديق لا يشعر نحو كل الناس بنفس العاطفة ، ولكن صديقه المختار يكون موضع عنايته . ولست تجد جميع الألعاب في نظر الطفل سواء ، وإنما لعبة خاصة هي التي يختصها الطفل بعطفه أكثر من أي شيء آخر .

ومن الناس من درج في منزل خاص ، نبت في كنفه ، وشب بين جدرانها ، وعاش تدمه حجراته المختلفة حيناً من الدهر ، ثم انتقل صاحبنا من هذا المنزل إلى منزل آخر ، مثل هذا الشخص لا نزاع في وجود عاطفة عنده نحو هذا المنزل القديم الذي كان يعيش فيه ، ومعنى هذا أنه يفعل إزاء ذلك المنزل أكثر من انفعاله من أى منزل آخر ، وأكثر من هذا ، فإن المنازل التي لا يعرفها لا يفعل منها أصلاً ؛ فهو يشعر نحوه بنشوة الفرح ، وهزة السرور ، ويبعث فيه حين يمر به آهات من الأسف ، ورنات من الإعجاب ، وتقلبات بين الدهشة والاستغراب والحنين والقلق . فالشيء الذي يكون موضع العاطفة عند شخص يصبح مبعث هذه التأثيرات الوجدانية جميعاً ، وفي هذا دليل على أنه يميل إليه بكلية وينصرف إليه بجميع نفسه . فإذا سمعت أن صديقك في خطر ، أو مسه أحد بسوء ، فإنك تفعل انفعال الغضب له ، والخوف عليه ، والقلق لما قد يحدث له ... إلخ . وعلى العكس من ذلك إذا سمعت عن شخص لا تعرفه ولا تربطك به صلة ، وليس بينكما أى عاطفة ، إذا سمعت أنه في خطر فإنك قد لا تعبأ لذلك . وقد لا يشير هذا الخبر في نفسك أى أثر .

وفي كثير من الأحيان ، لا ندري أننا في حال عاطفة إلا إذا حدث ما يهدد هذا الشيء الذي نعطف عليه . فقد يظن الوالد يعنف ابنه ، ويعلم بين الناس أنه عاق فاسد الأخلاق ، فهو لا يحبه ولا يريده ، بل يمتته ويكرهه ، حتى إذا مرض الابن ولزم الفراش ، وجدت أباه قلقاً عليه ، يعمل كل ما في وسعه ليرفه عنه ، فيحضر له الأطباء ، ويسهر بجانبه ، وكل هذا دليل على وجود العاطفة . ثم إن العاطفة تنمو وتزيد وتعمق كلما زادت التجربة والمراة ، وكثرت الألفة واشتدت الصلة . ذلك أن العاطفة تجمع الانفعالات التي تنتج عن الحوادث

المتصلة بشيء من الأشياء ، فكل حادثة جديدة تخرج انفعالا جديداً ، يندرج في قائمة العاطفة ، فيزيدها قوة وتماسكا . ومن هنا نستطيع أن نفسر اشتعال عاطفة الصداقة كلما زادت الألفة بين الصديقين . ولعل عاطفة الأمومة ، بجانب أنها تقوم على عامل غريزي ، ترجع إلى صلة الأم بوليدها أيام الحمل والوضع والحضانة ، وانفعالها في أثناء ذلك بشئ الانفعالات المختلفة التي تتجمع كلها وتنظم حول الطفل ، ولكل هذا أثر في تكوين هذه العاطفة الحادة ، التي هي المثل الأعلى للعواطف .

ونستطيع أيضا أن نفسر السر في احتفاظ الناس بأشياء لا قيمة لها في الواقع ، ولا تنفعهم في وقتهم الحاضر . فكثير من الناس يحتفظون بالكراسات المدرسية التي كانوا يكتبون فيها أيام الطفولة الأولى ، أو يحتفظون بملابس قديمة ، فهذه الأشياء وأشباهها ، هي رموز لتلك العهود القديمة التي كانت محل العاطفة .

اتجاهات العاطفة :

لا بد أن تكون العاطفة موجودة بين صاحبها وبين شيء آخر ، صاحبها « طرف أول » ، والشئ الآخر « طرف ثانٍ » كما يقولون في لغة القانون . أما أن توجد العاطفة جزافاً ، كما يقول بعض الناس ، دون أن نعرف ما هذا الشئ الذي نعطف عليه ، فهذا خطأ لا يقبله العلم .

فالشخص كاشعاع التي يصدر عنها الضوء فتشعير بأشعتها ما تقع عليه . هذه النقط الذي يصيبها شعاع النفس ، هي المراكز التي تلتقي عندها عاطفة الشخص وتنتجع . وهذه المراكز لا تخرج عن كونها شيئاً أو شخصاً أو جماعة أو فكرة .

فالعاطفة نحو شيء هي كعاطفة البخيل نحو المال ، أو السكير نحو الخمر ، أو عاطفة الشخص نحو السيارة التي يملكها . أو القلم الذي يكتب به ، أو المقهى الذي

يختلف إليه ... ألح . وتختلف عواطف الناس في هذه الناحية بين السمو والتفاهة ،
ف عاطفة حب الزهور والحدائق والصور الجميلة والآثار الفنية ... أسمى وأبلغ وأعمق
من غيرها . وتتوقف العاطفة نحو الأشياء على المعاني التي نستمدّها منها ، فالمال للبخیل
مادة الحياة ، والطفل لوالده أمل في المستقبل ، والكتاب للأديب ثروة العقل .

وهناك عاطفة تتجه نحو شخص واحد ، كعاطفة الأم نحو ابنها ، والصديق
نحو صديقه ، والعامل نحو صاحب العمل الذي يشتغل عنده ، والطالب نحو مدرّسه ،
وابن الوطن نحو زعيم أمته ... ألح . وعاطفة الإنسان نحو الحيوان تدخل في هذا
الباب مثل العاطفة نحو القط أو الكلب أو العصفور المغرد في القفص .

وقد تتجه نحو جماعة ، مثل الكراهية بين الألمان واليهود ، والعاطفة نحو فرقة
كرة القدم ، وعاطفة التلميذ نحو طلاب المدرسة التي يدرس فيها ، وعاطفة الشخص
نحو أهل المهنة التي ينتمى إليها ، كعاطفة الصحفي نحو الصحفيين ، والموظف نحو
فئة الموظفين ، والطبيب نحو جمهور الأطباء .

وقد لا تتجه العاطفة نحو شيء ، أو شخص ، أو جماعة ، بل نحو فكرة مجردة
كحب الحقيقة والفضيلة ، وعاطفة الجمال ، والعاطفة الدينية والعلمية والفكرية .

تكوين العاطفة :

إذا حللنا العاطفة تحليلاً دقيقاً إلى عناصرها الأولى نجد أنها ترجع إلى نوعين :
الحب والكراهية ، التي إن هي في الواقع إلا الصورة السلبية للحب . والعواطف
الأخرى مزيج من الحب وشيء آخر ، فعاطفة الأمومة هي حب الأم لطفلها ،
والشفقة حب الضعيف ، والصداقة حب الصديق . وهناك من يضيف نوعاً جديداً
من العواطف هو الاحترام ، والحقيقة أن الاحترام حب وتقدير .

ومكونات العاطفة تقوم على طبيعة الشخص ، وعلى انتظام الانفعالات حول موضوع العاطفة ، وعلى الظروف الخارجية الشخصية .

فالعرائز الفطرية أثر كبير في تكوينها ، فغريزة الأمومة هي الأصل في عاطفة الأمومة . ولما كانت العرائز تختلف بين الناس قوة وضعفاً وزماناً ، اختلفت العواطف أيضاً لأنها تقوم على أساس من الغريزة . فإذا قويت غريزة حب الاستطلاع عند شخص تمكنت منه العاطفة العلمية ، وإذا برزت غريزة الاقتناء أصبح بخيلاً . والعاطفة تستمد أصولها أيضاً من الطبائع الخاصة التي يرثها الفرد ، كالميل إلى الموسيقى أو الرياضة البدنية ، أو الأدب والشعر ، وتعديل هذه العواطف حسب الظروف الاجتماعية التي يصادفها صاحبها في طريقه . فكأن الإنسان مسوق بالطبيعة إلى تكوين العواطف التي تتركب منها حياته ، كالشراهة وهي حب الطعام أساسها صحة الجهاز الهضمي . وقد يرث الإنسان أيضاً الميول النفسية والعقلية كالعاطفة الدينية ، إذ كثيراً ما تجد أخوين يعيشان معيشة واحدة ، ولكن أحدهما يتجه اتجاه دينيا ، والآخر لا يحب التدين .

وتتكون العاطفة من تجمع عدة انفعالات ، وانتظامها وتركزها حول موضوع العاطفة . فعاطفة الشفقة تنشأ على هذا النحو : يرى الإنسان خلال حياته منظر البائسين والمساكين فيتألم ، وقد يكون هذا البؤس شديداً فيثير الخوف أو الغضب ، ثم تحسن إلى المساكين الذين يلهجون بالشثناء عليك فتفرح . وهذه التجارب المختلفة ، لا تشهدها فقط عند الناس ، وإنما تقع لك ، فيتيسر لك أن تحسها وتشعر بها مع رؤيتها ، وهذا الشعور الشخصي أوقع في معرفة الحقائق . فالألم والفرح والخوف والغضب . . . وهذه الانفعالات المختلفة المتكررة تدور حول موضوع البأس المسكين ، فتخرج لنا عاطفة الشفقة . والألفة تزيد العاطفة قوة ،

إذ تثار كثير من الانفعالات تزيد في تكوينها . والعاطفة من جانب آخر باعثة على الانفعال ، مثال ذلك إذا كانت عندك عاطفة الشفقة ورأيت مسكيناً تألمت له ، وإذا كنت فاقداً لها فإنك لا تتألم لرؤية ذلك المسكين .

العاطفة والانفعال أصلهما واحد ، لأنهما يمثلان الناحية الوجدانية من الحياة . والعاطفة كما رأيت مزيج من عدة انفعالات . والفارق بينهما يقع في أن الانفعال وقتي يزول بزوال المؤثر ، بينما العاطفة أديم أثراً وأبقى مدة . وبينما أثر الانفعال يذهب بعد مدة قصيرة ، فإن العاطفة قد تصحب صاحبها إلى أن يموت كالعاطفة الدينية .

وهناك عوامل خارجية تساعد على تكوين العاطفة هي البيئة . والبيئة هي كل ما يحيط بالشخص : كالأرض التي يعيش عليها ، والجماعة التي ينشأ بين ظهرانيها . ومهمة البيئة في تكوين العاطفة هي أنها تمد الشخص بالأشياء التي تتركز حولها العاطفة ، هذه الأشياء هي التي ينفع منها الشخص ، فتتجمع الانفعالات ، ويخرج من نتيجة تجمعها العاطفة .

ولما كانت البيئات مختلفة ، والمجتمعات متباينة ، اختلفت عواطف الناس في تكوينها عند الأشخاص تبعاً لذلك . ولذا تجد أهل الريف في عواطفهم غير أهل المدن ، لأن الريفي يعيش بين المناظر الطبيعية والأرض الزراعية ، فتتجه عواطفه نحو الساقية ، والبقرة والنخلة ، والقروية التي تحمل البلاص ، ونحو الشمس المشرقة ، والنجوم المتألمة ، والليل الداجي . بينما أهل المدن تتكون عواطفهم نحو دور الخيالة ، والسيارات ، والأزياء ونحو ذلك .

وللتعليم أثر كبير في تكوين كثير من العواطف ، ولا سيما تلك التي تنتجها نحو أفكار مجردة . ذلك أن هناك عاملاً عقلياً له أهميته في تكوين العاطفة ،

هذا العامل هو إدراك موضوع العاطفة أى فهمه ووضوحه فى الذهن . فالشفقة لا تقوم إلا على إدراك معنى البؤس ، وكثيراً ما نخفى علينا هذه المعانى ، كما كانت الحال فى فرنسا قبل الثورة الفرنسية ، إذ كان القوم فى بؤس شديد ، ولكن أحداً لم يفتن إلى ذلك ، حتى جاء أمثال « فولتير ، وموليير » وغيرهما فأحسوا بذلك البؤس لأنهم أدركوا المعانى الموجودة فيه . والإنسان لا ينفعل من المناظر الطبيعية ، ويتأثر منها حق التأثر إلا إذا كان على علم بمعنى الجمال وأسسها . والعاطفة العلمية لا تقوم إلا على أساس فهم قيمة العلم وقدره ومنزلته . لذا كانت العواطف السامية متوقفة إلى درجة كبيرة على العلم والثقافة . فعاطفة حب الوطن على وجهها الصحيح ، هى عند الشخص المتعلم أعمق وأصدق منها عند الجاهل . كذلك أمثال هذه العواطف كحب الديمقراطية والشعر تحتاج إلى قدر كبير من التعليم .

وتحتاج العواطف فى نشأتها وتكوينها إلى المجتمع ، حيث يستمد صاحب العاطفة عواطفه عن طريق الإيحاء والمحاكاة . ولذلك تجد ضرورياً من العواطف تسود عند كل شعب على حدة ، وتشيع فى أجيال دون أخرى ، فلكل مجتمع عواطفه التى يتميز بها . ويقال فى علم الاجتماع : إن العواطف التى تشيع بين الشعوب تتغير كل نصف قرن . ونستطيع أن نسمى هذه العواطف العامة بالتقاليد .

انتقال العواطف^(١) :

لا تظل العاطفة ثابتة فى اتصالها بالأشياء ، بل تتغير وتنتقل وتتحول من موضوع إلى آخر . ويتبع هذا التحول بأن تربط العاطفة بشئ لا يكون هو

السبب في إحداثها ، وذلك إما عن طريق التلازم أو التشابه . فإذا حدث أن شيئين متلازمين أدى أحدهما إلى عاطفة فإن الشيء الآخر يثير نفس هذه العاطفة . كتب « روسو » عن نفسه ما يأتي . « إن ما يصلني بدراسة النبات هي سلسلة من الخواطر المرتبطة بعضها ببعض ، فتذكرني بالأماكن والأحراش ومجاري المياه ، والوحدة والسلام والراحة التي كنت أجدها بين كل هذا . إنها تذكرني بصباي وبأفراحي البريئة » . فهذه المشاهد المختلفة والذكريات المتعددة ، التي صاحبت ملاحظة النباتات في ذهن « روسو » ، انتقلت وتركزت في دراسة النباتات .

قد ينتج الانتقال عن طريق التشابه بين موضوع العاطفة وبين شيء آخر يماثله . فكثيراً ما ترى امرأة غلاماً فتحس نحوه بعاطفة شديدة ، والسرف في هذا أنه يشبه ابنها الذي فقدته . ومثال ذلك ما يحدث لنا حينما نرى شخصاً لأول وهلة فنحس نحوه بالاحترام أو الشفقة أو الكراهية ، وهذا يرجع إلى وجه الشبه بينه وبين شخص آخر كان موضع هذه العاطفة . كذلك تنتقل العاطفة من شخص بعينه وتشيع في عدة أشخاص ، وهذا هو تفسير العاطفة المتجهة نحو جماعة ، فإذا عرفت صديقاً من أهل الإسكندرية فإنك تحب أهل هذه المدينة جميعاً .

وتتطور العاطفة من مستوى إلى آخر كما تنمو الحياة ، فعاطفة البخل تكون في الأصل حبا للمال لأنه يجلب الفائدة ، ويحقق المطالب المختلفة التي يرغب فيها الإنسان . ثم تتحول هذه العاطفة إلى حب المال في ذاته ، لا على أنه واسطة لتحقيق الرغبات .

منطق العواطف^(١) :

حياة الإنسان مزيج من العواطف ولكنها تختلف من شخص إلى آخر .
وللعاطفة أثر كبير في التفكير ، لذلك يسمى التفكير المستمد منها منطق العواطف .
وهو نوعان : منطق يبرر به صاحبه العواطف التي تسيره ، كالبخيل الذي يحاول دائماً تبرير مركزه بالنسبة إلى جمع المال ، أو السكير يسوّغ لك لماذا يشرب الخمر . فالبخيل لا يحاول البحث عن سبب جمع المال ، والسكير لا يفكر لماذا يشرب الخمر ، بل البخل والسكر حقيقتان بالنسبة لأصحابهما لا يبحثان فيهما ، وإنما يعملان على تبريرهما . وهذا هو ما يسمى منطق التبرير^(٢) .

والنوع الثاني هو منطق الإنشاء^(٣) ، الذي يرسم به صاحب العاطفة الخطط المختلفة التي توصله إلى تحقيق العاطفة ؛ كزعيم الأمة الذي يحب وطنه ، فيعمل على تخليصه من الأعداء ، أو رفع شأنه بين الأمم الأخرى .
وليس هناك تعارض بين العاطفة والعقل ، فهما يسيران جنباً إلى جنب .
ولكن الصلة بينهما تختلف ، فقد يسيطر العقل على العاطفة ويقودها ، وقد تملو كلمة العاطفة فتجتاح العقل . ومعيّار العاطفة يقاس بانتصارها على العقل أو خضوعها له .

والإنسان في حالة العاطفة لا يفقد العقل ولكنه يفكر بشكل جديد . وأثر العاطفة في التفكير يتناوله من ثلاثة نواحٍ : فهي تؤدي إلى حسن التفكير ، أو التحيز ، أو الخطأ .

Ancien Traité Dumas. Tome I Page 488. (١)

Raisonnement de justification. (٢)

Raisonnement constructif. (٣)

والإنسان حين يعطف على شيء ينصرف إليه ، وتختلط نفسه به ، ويكون دائماً الصلة به كالبخيل تدور حياته على المال ، والعالم على العلم ، فتتفتح النواحي المختلفة للشيء أمام بصر صاحب العاطفة ، إذ يكون دائماً الانتباه إلى ما يعطف عليه ، فتتضح الحقائق المتصلة به في ذهنه . لذلك يحسن فهم الأشياء ويحسن التصرف في الأمور . فالبخيل الذي يصرف وقته كله وراء البحث عن المال ، يعرف أغلب الحقائق الاقتصادية ، ويحسن فهمها ، وإذا عرضت له مشكلة مالية أبدع التصرف فيها ، حتى تزيد ثروته ، ويتكدس ماله . كذلك العالم يحسن فهم الحقائق العلمية ، ويحل مشاكل العلم ، ويخترع المخترعات المفيدة للعلم .

ولكن هذا الانصراف إلى ناحية واحدة تعطف عليها يجعلك تزيد في تقديرها ، وتغلو في رفع قيمتها ، وتضعها في غير موضعها الصحيح ، ومن هنا ينشأ التحيز . ولذا كان القاضي لا يستطيع إبداء حكم صحيح إذا كان على صلة بأحد المتقاضين ، أو بعبارة أخرى بينهما عاطفة صداقة . وتجد المؤرخين من العرب يتحيزون للعروبة ، وغيرهم من الفرنجة يحطون من شأن العرب وهكذا . والتحيز هو انصراف الذهن إلى ناحية واحدة من نواحي الموضوع ، مع غرض النظر عن باقي النواحي التي يكون لها أثر في الحكم النهائي على الموضوع ، أو كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كلية كما أن عين السخط تبدى المساويا

والإنسان في خضوعه للعاطفة تضعف عنده قوة النقد ، وهي ضرورية لتمييز الخطأ من الصواب ، والوصول بالتفكير إلى الصحة . ولذلك كثيراً ما تؤدي العاطفة إلى الخطأ الذي يكون شديداً في العلوم الاجتماعية والأدبية والسياسية ، لأنها علوم تقديرية قياسها يقع على حسب ميل الإنسان لها . ولكن كيف نفهم الخطأ في الحقائق العلمية المستقلة عنا ، والواحدة بالنسبة لجميع الناس ؟ حينما اخترع

« جاليليو » المنظار المكبر لرصد النجوم والكواكب ، وقال بأن الأرض هي التي تدور حول الشمس لا العكس ، هددّه رجال الكنيسة بالحرمان والاضطهاد إذا لم ينزل عن آرائه ويحطم منظاره ، وهذا نتيجة تأصل العاطفة الدينية .

ولصاحب العاطفة منطقها الخاص ، فهو لا يبحث عن الحقيقة ، ولكنه يعتقدّها ويؤمن بها ، ويحاول إثباتها بالبراهين وتبريرها بالمسوغات .

وقد قيل إن الحب أعمى ، والحب هو أساس العواطف كما ذكرنا ، فالعاطفة تعمى الإنسان عن الحقيقة ، وكما أن النبات لا يمتص من الأرض إلا ما يلائم نموه ، كذلك العاطفة لا تنتقى من الحقائق إلا ما يوافق هواها . والمتعمون من الناس أقل خضوعاً للعاطفة في تفكيرهم من الجهال ، لأن المتعلم من ثقافته ومن شخصيته القوية ما يجعله لا يجرى إلا وراء الحقيقة في ذاتها ، بينما الجاهل يعتقد ويؤمن عن طريق الخضوع للأهواء والإتقياد دون التبصر والتفكير الصحيح .

العاطفة والسلوك :

يخضع تفكير الإنسان إلى حد صغير أو كبير للعاطفة ، وينتج عن ذلك توجيه السلوك تبعاً للمنطق الذي يسلكه ، لأن حياة الإنسان لا تخلو من العاطفة . ويكون سلوك المرء على حسب العواطف الموجودة عنده . فالعاطفة الوطنية تدفع الإنسان إلى الدفاع عن الوطن بجميع الوسائل ، كالتبرع بالمال ، والتطوع في الجيش . وعاطفة الشفقة هي التي تدفع صاحبها إلى أن يحسن إلى الناس .

وتتميز شخصية الإنسان على حسب العواطف التي تدور عليها حياته ، لأن حد الشخصية هو الاتجاه نحو أغراض مخصوصة يسلك الإنسان لتحقيقها طرقاً لا يحيد عنها . وفي ذلك يتفاوت الناس ويختلفون ، بحيث نستطيع أن نميز كل

شخص على حدة ، فحاتم الطائى كان كريماً ، وعمر بن الخطاب شقيقاً ، والحجاج قاسياً فهذا السلوك المختلف هو نتيجة تباين العواطف عند هؤلاء الأشخاص . وهذه العواطف وهذا السلوك هما اللذان يبرزان شخصية المرء .

فإذا طغت العاطفة على صاحبها كست شخصيته ، كشخصية البخيل فإنها مستمدة من البخل . وقد يعمل الإنسان تحت سيطرة العاطفة دون أن يشعر ، فالإرادة تصبح خاضعة لهوى العاطفة ، فلا يستطيع الإنسان أن يوقف سيلها الجارف أو وجهتها الجارحة .

الكبت والعقد النفسية :

من العواطف والميول ما تضطرننا الحياة الاجتماعية والأخلاقية والتقاليد إلى كبح جماحها ، وإيقافها عند حدها . وقد اكتسب الإنسان بالتربية والتعليم نوعاً من الرقابة يلاحظ بها الميول التي تصلح أن تظهر في مجرى الشعور وتلك التي لا تصلح . هذه النزعات التي لا يرغب الشخص أن يبرزها للعيان ، لا تموت ولا تنفى ، بل تلقى في اللاشعور ، وتكبت وتحمّد . هذه الظاهرة هي التي سماها « فرويد » بالكبت^(١) .

واكتشاف ظاهرة الكبت لم يكن بالأمر السهل ، لأن الرغبات المكبوتة تظهر في صور رمزية مختلفة كل الاختلاف عن الانفعال المكبوت ، أو الرغبة المتراجعة . ويرجع الفضل في اكتشافها إلى أحد الأطباء النمساويين هو الدكتور « بروير »^(٢) الذي عجب لكثير من المرضى الذين يتألمون آلاماً نفسية كبيرة ، ولم يكن طب ذلك الوقت لينفعهم . ثم لاحظ الدكتور « بروير » أن ذكرى

refoulement. (١)

Dr Breuer. (٢)

بعض الانفعالات تستمر في الذهن في حالة غموض ولا يشعر بها المريض ، وهي التي تؤدي إلى كثير من الاضطرابات العقلية والجسمية لا يعرف لها الطب علاجاً . وقد فكر « بروير » أنه إذا استطاع أن يخرج هذه الانفعالات المكبوتة من اللاشعور إلى الشعور حتى يراها الشخص شفى المريض . وكانت طريقته في بعث هذه الذكريات القديمة هي التنويم المغناطيسى .

وكان « فرويد »^(١) يعمل مع « بروير » ولكنه رجع عن استعمال التنويم لخطأ هذه الطريقة ، واقترح طريقة جديدة نصل بها إلى كشف هذه « العقد النفسية »^(٢) المكبوتة في اللاشعور ، وهذه الطريقة هي التي تعرف بالتحليل النفساني^(٣) وخلاصتها ما يأتي : —

- ١ — إلقاء أسئلة خاصة على المرضى .
- ٢ — التحليل الدقيق لرغبات المريض وإشارات وحركاته ولقائمه غير المقصودة ، وتحليل الخواطر التي ترد في ذهن المريض .
- ٣ — تحليل الأحلام ، ويعتبرها « فرويد » من أكبر ما ينبىء عن هذه الرغبات المكبوتة .

ولنضرب مثلاً يوضح لنا ما هي هذه العقد النفسية المكبوتة ، وكيف تؤدي إلى الأمراض العصبية ، وكيف يعالج المريض بواسطة التحليل النفساني . شاب ظهرت عليه هذه الأعراض : القىء ، عدم الشهية للطعام ، شلل وهى في الرجلين ، دقات شديدة في القلب ، الخوف من الموت ، والميل إلى الانتحار . هذه كلها أعراض هستيرية لم يستطع الطب علاجها ؛ وقد وجد الأطباء عند فحص القلب

Frend. (١)

Complexes. (٢)

Psychanalyse. (٣)

أنه سليم ليس به أى مرض وكذلك المدة . وبالتحليل النفساني وسؤال المريض ، اتضح أنه منذ خمس سنوات وقع من الدور الأول فى المدرسة على الأرض مدة ثم أغشى عليه . هذه الفترة التى مرت بين وقوعه وبين الإغماء ، أصيب فيها بانفعال شديد هو الذعر والخوف من الموت . ولما جاء رجال الإسعاف ، وأفاق المريض من الإغماء ، أصيب بالقيء الذى هو نتيجة الخوف الشديد ، ولم يستطع أن يمشى على قدميه لمدة ثلاثة أشهر . هذا الخوف الشديد تراجع إلى اللاشعور وعاش مكبوتاً هنالك وكوّن عقدة نفسية ، هى التى تبعث الأعراض السابقة بين حين وآخر . وقد عولج هذا الشخص باستخراج هذه الحادثة التى نسيها إلى ميدان الشعور .

لم يقف « فرويد » عند هذا الحد ، ولكنه أراد أن يعمم نظريته بحيث تشمل جميع الأعمال الإنسانية ، فهو يقول إن الرغبات النفسية المكبوتة هى أساس السلوك عند الإنسان فى جميع النواحي . ويخرج من هذا التعميم إلى تعميم آخر وهو أن الغريزة الجنسية هى التى تحتل المكان الأول من بين الرغبات المكبوتة ، وأنها تخمد بالظروف الاجتماعية والتقاليد والتربية والإرادة . وأغلب الثروة الأدبية والفنية والفكرية وقوة الابتداع ترجع على حسب هذا رأى إلى هذه القوة المحبوسة ، التى تنطلق وتظهر فى هذه النواحي المختلفة ، كالرسم والموسيقى والشعر والتصوير ... الخ . وفى أحوال أخرى تؤدى إلى الاضطرابات العصبية .

ونظرية « فرويد » إذا كانت صحيحة فى كثير من الأحيان ، فإن تعميمها بالشكل الذى أوضحناه فيه كثير من المغالاة ، وهذا هو أهم اعتراض يوجه لهذه النظرية .